

الزواج عقد شراكة أم تملك الرجل للمرأة

المعتقدات الاجتماعية مسؤولة عن تشكيل رؤية الجنسين للعلاقة الزوجية منذ الصغر

شبهت الكاتبة الفرنسية بيغي ساستر، في كتابها الذي يحمل عنوان "كيف يسمي الحب النساء؟"، الزواج "بالنعش بالنسبة إلى المرأة والأطفال بالماسمير"، ويجعل هذا التشبيه البلاغي الزواج وكأنه فقدان للذات بالنسبة إلى المرأة، لكن في عدة مجتمعات عربية تؤمن الكثير من النساء بأسطورة "الطاعة العمياء" لشريك الحياة والتي قوامها أن تكون شخصية تابعة وخاضعة لزوجها.

والسيطرة على أفعالهم تحت شعار الحب والاهتمام، لكنه في الحقيقة جزء من الاضطرابات النفسية التي تدمر العلاقة الزوجية، ومن أبرز مظاهره الغيرة حيث يسمح الزوج لنفسه بالتدخل حتى في أدق تفاصيل حياة زوجته وتحركاتها واتصالاتها سواء بشكل مباشر أو غير مباشر عن طريق التجسس والتلصص عليها.

وأكد أن حب التملك قد يصل في بعض الأحيان إلى درجة الوسواس القهري واتهام الزوجة بأمور ليس لها أساس من الصحة ومنها الخيانة.

وقال بالحاج محمد لـ "العرب" إن "البعض من الرجال لا يتوانون عن توجيه تصرفات زوجاتهم وإملاء الأوامر عليهن، ويشعرون بالغضب في حال عدم إطاعتهم، فيما تعد أية محاولة من زوجاتهم للحصول على مبرر لتلك التصرفات محاولات فاشلة، حيث إنهم لا يتقبلون أي انتقاد".

وأضاف "هذا النوع من الأشخاص لا يمكنه أن يتحمل مسؤولية أي موقف سلبي، حيث يحاول التهرب منه والبقاء على أشخاص آخرين بمن فيهم زوجته" مشدداً على أن شعور حب التملك مؤد ومن الصعب تحمله والتعايش معه وقد يؤدي أحياناً إلى تدمير العلاقات الزوجية.

قوامة الرجل

وتعاني النساء في عدة مجتمعات عربية بالأساس من مشكلات اجتماعية كبيرة، بسبب الكثير من المفاهيم الذكورية المتوارثة منذ قرون، وتجعلهن عرضة للعنف والإقصاء والتهميش والتمييز والقهر والقمع الفكري والثقافي، وتنتهك جميع حقوقهن باسم قوامة الرجل على المرأة.

وتجد نسبة كبيرة من الرجال مبرراً دينياً للضرب حسب الآلية الرابعة والثلاثين من سورة النساء "واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن وأهجووهن في المضاجع وأضربوهن فإن أطفعنكم فلا تجوهن عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً".

وهذا الضرب يحاول بعض الفقهاء التخفيف منه بوصفه بالضرب "غير المرح" أي غير الشديد الذي لا يترك أثراً، واختلف الفقهاء في تفسير "الهجر" فمما قاله المفسر والمؤرخ محمد بن جرير الطبري في تفسيره أن الهجر يعني الربط بالحبل، فيقال هجر البعير أي ربطه أو قيده، وكذلك الهجر يعطي معنى الترك، لكن إذا كانت النية الترك فلماذا الضرب، ومعلوم أن إجازة الرجل في ضرب المرأة لأجل طاعتها له، أي عدم منعه منها في الفراش.

ويجمع الفقهاء، ومن المذاهب كافة، المتشددون منهم والمتنورون أن "الضرب رخصة رخص فيها الله للتأديب إذا دعت الحاجة إليه مع ما تقدم من الوعظ والهجر بشأنه، وليس من الأفضل أن يسارع إليه أو يفرح به، بل الأفضل أن يؤخر وأن لا يجعل جمعاً بين النصوص".

ويرى خبراء أن النصوص الدينية والممارسات لها زمن خاص بها ويصعب صلاحها للزمن الحالي، والقديما قالوا "الأحكام تتبدل بتبدل الأزمان"، لكن تأديب المرأة بالضرب والإقصاء الاجتماعية المبنية على ثقافة الإخضاع والسيطرة على المرأة، ما زالت سارية المفعول رغم أن المرأة اليوم أصبحت تضاهي الرجل، في المستوى الفكري والعلمي والموقع الوظيفي والمكانة الاجتماعية.

وأكد الباحث الشرعي السعودي عبدالله العلويط أن مفهوم القوامة السائد في القرآن في قوله تعالى "الرجال قوامون على النساء" يرد به قيام الرجال بضبط سلوك النساء في المجتمعات الذكورية، فهذه الآية نزلت في فترة كانت فيها المجتمعات ذكورية، وكانت المرأة تتبع الرجل لعدة أسباب من ضمنها إنفاقه للمال عليها.

وقال العلويط لـ "العرب"، "أبرز سمة للمجتمعات الذكورية هي



ياسمين حمدي
صحافية تونسية
مقيمة في لندن

يدخل العديد من الرجال المتزوجين في حالة من الاحتجاج والغضب وحتى العدوانية، عندما ترفض زوجاتهم الانصياع لأوامرهم، ويحاولون فرضها بالقوة، حتى لو كانت لا تصب في مصلحتهم، وتنتهك حقوقهم وكرامتهم، إذ تعتبر نسبة كبيرة من الرجال أن الزوج لديه الحق في التحكم في جميع تصرفات زوجته وملبسها، واتخاذ القرارات نيابة عنها، وضربها وإهانتها، ما يجعل الزواج في بعض الأحيان إلى مجال لإضطهاد المرأة وطريقاً نحو إخضاعها وحرمانها من حقوقها الشخصية وحرمتها.

وتكمن المشكلة بالنسبة إلى بعض المجتمعات العربية، في الاعتقاد السائد، بأن على المرأة الولاء لزوجها والامتثال لأوامره، بغض النظر عما إذا كان محققاً أو مخطئاً.

والامر الذي يثير القلق على نحو خاص بالنسبة إلى الخبراء، هو طبيعة ردود فعل البعض من النساء على إهانات وتعنيف أزواجهن، والتي غالباً ما تكون ردوداً هزلية أو يتقبلن الاعتداء ضدنهن ويصمتن، وهو ما يعطي انطباعاً بأن على الزوجات أن يكن خاضعات ومتسامحات تجاه سوء معاملة الأزواج.

وغرست الثقافات الاجتماعية الكثير من المفاهيم الخاطئة التي أصبحت من المسلمات في حياة الجنسين، وغدت المعتقدات السائدة بأنه يجب على المرأة ألا تعترض عما يطلبه الزوج الذي يعطي الأوامر وعليها أن تحترمه، بغض النظر عن طبيعة هذه الأوامر أو حتى مدى عدوانيتها.

التطبيع الاجتماعي

يرى علماء الاجتماع أن الأسرة هي التي تقوم بعملية الإعداد والتهيئة للحياة الزوجية، وبذلك فهي المسؤولة عن عمليات التلقين والتطبيع الاجتماعي للجنسين وتشكيل رؤيتهما للعلاقات الزوجية منذ الصغر، وهي المسؤولة كذلك على جعل المرأة رهينة للعنف الأسري الذي ينتهي في بعض الأحيان بمأساة.

فعندما يؤمن بعض الآباء على سبيل المثال باختلاف أساليب التربية الموجهة للذكور، والموجهة للإناث، فإن عملية التنشئة الاجتماعية في هذه الحالة تتم وفق نمطين اجتماعيين مختلفين، إذ يربي الذكر على القوة، ويمتدح حق التسلسل، في حين ينظر للإناث على أنها الإضعاف والأقل شأنًا وعليها التحلي بالصمت والامتثال لكل ما يقوله الذكر، ومن ثم يتسبب بحالة من الخلل السلوكي في التعامل مع الطرف الآخر.

التحدي الأكبر بالنسبة إلى المرأة العربية هو كيفية تحقيق المعادلة الصعبة التي تجعلها شريكة فعلية لزوجها في القرارات

وفضلاً عن ذلك يتوقع المجتمع من المرأة أن تكون أكثر تفهماً مرونة واستيعاباً لزوجها، وتلبية لحاجياته ومتطلباته، وتضطلع بمختلف الأنشطة المنزلية، والتي قد تشمل تربية الأطفال وإعداد الطعام، وجلب المياه وتوفير الوقود في المناطق الريفية، وهذه الأدوار المتعددة والمرهقة تستنزف طاقة المرأة وتؤثر بصورة سلبية على نظرتها لنفسها، ما يجعلها تعيش في ضغط نفسي متزايد.

وأرجع طارق بالحاج محمد، الباحث التونسي في علم الاجتماع، محاولة الرجل السيطرة على زوجته وإخضاعها إلى إصابته بحالة من "حب التملك"، وهو اضطراب نفسي وسلوكي يطفئ على الشخصيات التي تغلب عليها النرجسية، وتستمد وجودها من تملك الآخرين



الزوج ما يتبقى من الحبيب بعد استئصال حماسته

علاقة الزواج بالعلاقة المقدسة التي يجب أن تكون مبنية على الرحمة والحب والتكامل والتفاهم والتعايش. وقالت القروى لـ "العرب"، "أرفض عبارة تملك الرجل للمرأة بعد الزواج جملة وتفصيلاً، والأصح أن تكون علاقة تكامل في اتخاذ القرارات السلمية داخل الأسرة".

طارق بالحاج محمد
حب التملك قد يصل
في بعض الأحيان إلى
درجة الوسواس القهري

كوثر ماني القروى
أرفض تملك الرجل
للمرأة بعد الزواج جملة
وتفصيلاً

إيمان الركاك
انتساءل عن أسباب
المواقف الجاحدة في
التعايش مع المرأة

عبدالله العلويط
الرجل العربي يمارس
الامتلاك لأنه يرى أن
المرأة تابعة له

ومن جانبها أكدت المستشارة النفسية السعودية نوف شفلوت أن المعاملة السيئة والاعتداءات اللفظية والإهانات والسلوكيات البغيضة التي يعامل بها الرجل زوجته، يمكن أن تخلف لها صدمات نفسية مثل القلق والاكتئاب المزمن واضطرابات ما بعد الصدمة، وهذه الاضطرابات ليس من السهل علاجها وإعادة التأهيل النفسي لكل من تعرض لها.

وشددت شفلوت في حديثها لـ "العرب" على أن التعامل العوانني مع المرأة محرم شرعاً ومنبذ عرفاً ويجب تكاتف الجهود لوضع حد له، داعية النساء المعنفات إلى عدم الصمت على حقهن المتبع الجناة عدلياً، حتى يردن كل من تسول له نفسه الاعتداء على أي امرأة مستقبلاً.

وسنت معظم الدول العربية في السنوات الأخيرة قوانين تجرم مختلف أشكال العنف ضد المرأة، إلا أن هذه القوانين ما زالت عاجزة عن توفير الحماية اللازمة للنساء من العنف الأسري الممارس ضدهن على نطاق واسع.

ولعل التحدي الأكبر بالنسبة إلى المرأة العربية، هو كيفية تحقيق المعادلة الصعبة التي تستطيع من خلالها أن تكون شريكة فعلية لزوجها في حياتها الأسرية، وتجهز في الوقت نفسه على مظاهر الإحباط والتخزين نفسية وصفت التونسية كوثر ماني القروي، صاحبة وكالة لكراء السيارات،

على العنف ضد النساء في وسائل التواصل الاجتماعي قد تكون سبباً في تنامي الظاهرة. وكانت رئيسة منظمة النساء الديمقراطيات، يسرى فراوس، قد أكدت منذ الأيام الأولى للحجر الصحي الشامل ارتفاع حالات العنف ضد النساء التونسيات.

وكشفت فراوس في تصريح لوكالة الأنباء التونسية أن المنظمة تلقت شكاوى من نساء ضحايا العنف الزوجي بفترة الحجر الصحي، وعدم تمتعهن بمساعدة الأمن الذي تعامل مع اتصالات النجدة بلا مبالاة "تعلقة عدم اهتمامه بهذه القضايا حالياً" على حد قولها.

ومن جانبها أكدت جمعية "أصوات نساء" أن 40 ألف قضية عنف ضد النساء تم النظر فيها في وزارة العدل خلال العام 2019 وذلك بموجب قانون مناهضة العنف ضد المرأة، ولكن لم يعرف مالها إلى حد الآن.

ورغم الجوانب السلبية الناجمة عما تتعرض له المرأة من عنف زوجي، فإن البعض من الرجال ممن تحدثت إليهم "العرب" يرى أن الشتائم أو الإهانات التي يطلقها الزوج ضد زوجته أمر طبيعي، ولا تستحق رفع دعاوى قضائية بشأنها، وأنها مجرد أحد تجليات لغة التحاور والمشاكل التي تحدث في حياتهم الخاصة.

فيما شددت بعض النساء على ضرورة أن يتنقى الرجل الفاظه في التعامل مع زوجته ولا يعتبر ملك له بل مكملة له، ولذلك تجب مراعاة مكانة ودور كل طرف منهما داخل الأسرة، معتبرين المرأة التي تتلقى الإساءة اللفظية مراراً وتكراراً في حياتها، ليس كالرجل الذي يطلقها ضدها آلاف المرات.

وقالت التونسية إيمان الركاك التي تعمل في شركة نقل سياحي "لا يمكن أن ننكر أن المرأة التونسية تتمتع بعدة حقوق ومتالفة في العديد من المجالات، ولكن هذه الصورة البراقة لا تعني أن جميع النساء العربيات يعشن في أفضل حال، إذ تتعرض للكثيرات يومياً لحوادث عنف زوجي ومجمعي وغالباً ما لا تجد الإنصاف إلا من أقرب الناس إليها ولا من المجتمع المتحيز ضد جنسها الذي يبغضها حقوقها ويلقي باللوم عليها ويعد عليها تحركاتها وخطواتها، بل يصبح كل فعل يرتكبه الرجل له ما يبرره، فيما توجه أصابع الاتهام إلى المرأة بشكل دائم، إما بسبب ملابسها، أو لأنها رفضت الانصياع لأوامر سي السيد".

وأضافت لـ "العرب"، "انتساءل عن أسباب المواقف الذكورية الجاحدة في التعايش مع المرأة، رغم أنها هي التي تنجب الرجل وتربيته وتدعمه وتبذل كل ما في وسعها من أجل راحته وسعادته، لكنه للأسف يقابل كل تضحياتها بإدارة ظهره لها أو التكتيل بها بشئ أنواع العنف".

فيما وصفت التونسية كوثر ماني القروي، صاحبة وكالة لكراء السيارات،

فحينما يقابلها المولى عز وجل بالصالحه فإنه يراد به المنحرفة وليست من لديها خلاف أسري فهذه لا تسمى غير صالحة في القرآن، بل دليل أنه قد يكون الحق معها فكيف يمارس عليها قوامة؟".

واستدرك مضيافاً "لكن المنحرفة أخلاقياً لا يمكن أن يكون الحق معها وهذا الضرب أيضاً لا يوجد به دليل على أن الضارب هو الزوج أو قريبه، بل ربما يكون الضرب القانوني أو القضائي كما يحدث مع جلد الزاني، فهو كالوظف في نفس الآية فهو لكل من في استطاعته وليس للزوج، والزوج يهجر في البيت... فهي أشكال متعددة لكبح جماح المنحرفات أخلاقياً وليس لها أي علاقة

بالحالة الزوجية أو العشرة الزوجية، والتي بعدها هي التي لها علاقة بالعشرة الزوجية وأقصد قوله تعالى "وإن خفتن نفس الآيات فهو لكل من في استطاعته وليس للزوج، والزوج يهجر في البيت... فهي أشكال متعددة لكبح جماح المنحرفات أخلاقياً وليس لها أي علاقة

بالحالة الزوجية أو العشرة الزوجية، والتي بعدها هي التي لها علاقة بالعشرة الزوجية وأقصد قوله تعالى "وإن خفتن نفس الآيات فهو لكل من في استطاعته وليس للزوج، والزوج يهجر في البيت... فهي أشكال متعددة لكبح جماح المنحرفات أخلاقياً وليس لها أي علاقة

عليها ليضمن سلامتها من هذه الناحية".

التعنيف الجسدي والنفسى

وتتعرض الملايين من النساء في مختلف المجتمعات العربية إلى عدة أشكال من العنف الزوجي والضرب أو الطرد من بيت الزوجية، علاوة على الإكراه الجنسي، والعنف الاقتصادي الذي يشمل الاستيلاء على ممتلكات الزوجية وعدم الإنفاق عليها.

وفي تونس على سبيل المثال كشفت آخر الإحصائيات عن تضاعف نسبة العنف ضد النساء بحوالي 5 مرات خلال الأسبوع الأول من الحجر الصحي المنزلي الذي فرضته الحكومة على المواطنين للحد من تفشي فيروس كورونا.

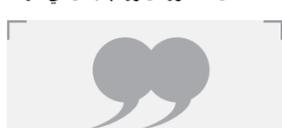
وأكدت وزارة المرأة والأسرة وكبار السن، أنها أوتت 77 في المئة من النساء ضحايا العنف الزوجي في مراكز خاصة، فيما يتم يومياً إحالة شكايات لنساء يتعرضن للاتهام الجسدي والمعنوي إلى مصالح الأمن المختصة للتعهد بهذه القضايا.

ووفق البيانات الرسمية التي نشرتها الوزارة على موقعها الرسمي، فإن 1364 امرأة معنفة طلبن الإصغاء إليهن، فيما طالبت 455 امرأة بالإحاطة النفسية و448 بالحماية، وذلك في الفترة بين 23 مارس وأبريل الماضيين.

ويرى متابعون أن ظروف الحجر الصحي وبعض الرسائل التي تحرض

أن المرأة تتبع الرجل مالياً وغير مستقلة عنه، لذا بجز المولى عز وجل القوامة في الآية بما انفقوا من أموالهم، إذ أن هذا هو السائد في تلك المجتمعات وأراد القرآن استغلال هذه السلطة في منع النساء المنحرفات أخلاقياً بدلاً من النظام

أو القضاء لأنه أكثر سترًا لهن، والذي يدل على أن المراد المنحرفات أخلاقياً هو أن الصالحات في الآية معفيات من هذه القوامة، فقال تعالى "فالصالحات حافظات أخلاقهن بما حفظ الله، فلم يرشد القرآن لوعظهن أو ضربهن أو هجرهن في المضاجع كما في اللاتي يخافن من نشوزهن ورجعتهن في الزنا،



علماء الاجتماع يؤكدون أن الأسرة تقوم بتشكيل رؤية الجنسين للعلاقات الزوجية، وهي بذلك المسؤولة على جعل المرأة رهينة للعنف الأسري الذي ينتهي أحياناً بمأساة

العنف ضد المرأة جريمة أوقفوا الآن

